الانعكاسات الجيوبوليتيكية لسوريا بعد الأسد وتأثيرها على العراق والمنطقة

بقلم: الدكتور منتصر صباح الحسناوي

20 شباط 2025

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي
للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الابحاث والدراسات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

بعد سقوط نظام الأسد الذي حكم سوريا لأكثر من أربعة عقود دخلت البلاد مرحلة جديدة من التحولات الجغرافية والسياسية، إذ أسهمت الحرب الأهلية والتدخلات الدولية في إعادة تشكيل خريطة القوى المسيطرة على الأرض ومع هذه التغيرات لا يمكن فصل تأثير التحولات السورية عن امتدادها الطبيعي في العراق الذي يربط التاريخ والجغرافيا بين البلدين في علاقات معقدة وظيفتها تحقيق توازنات إقليمية ودولية.

مع سقوط نظام الأسد برزت الجماعات المسلحة كقوى فاعلة في المشهد السوري وهيمنت على مناطق واسعة من البلاد، أبرز هذه الجماعات كانت "هيئة تحرير الشام" (جبهة النصرة سابقاً)، التي وسعت نفوذها بدعم إقليمي ودولي متنوع وعلى الرغم من أن هذه الجماعة غلفت خطاباتها بالاعتدال لتوسيع قبولها، فإن سيطرتها على الأرض أظهرت وجود تواتر لحالات التشدد الديني مما يشير الى زيادة التوترات مع المجتمعات المحلية التي عانت من سنوات طويلة من القمع والفوضى.

في المقابل، كانت المناطق الكردية في شمال شرق سوريا تشهد نمواً ملحوظاً في الحكم الذاتي بعد ان استفادت القوى الكردية من ضعف السلطة المركزية لتعزيز سيطرتها بدعم الولايات المتحدة لها. هذا الوضع أثار قلق تركيا التي اعتبرت وجود كيان كردي على حدودها تهديداً مباشراً لأمنها القومي مما أدى إلى تصعيد عسكري مستمر مع هذه الجماعات.

هناك ايضاً التداخل الإقليمي والدولي في سوريا التي ستزيد الازمات السورية وستكون ساحة لتصفية الحسابات الجيوسياسية. فروسيا وإيران، الداعمتان الرئيسيتان لنظام الأسد، وجدتا نفسيهما في مواجهة واقع جديد بعد سقوط النظام، ففي الوقت الذي خسرت فيه إيران وجودها لتعميق ارتباطها بمشروعها الإقليمي الممتد من طهران إلى البحر المتوسط لا زالت روسيا تسعى للحفاظ على نفوذها الاستراتيجي في سوريا عبر قواعدها العسكرية في طرطوس وحميميم.

على الجانب الآخر، دعمت تركيا وقطر بعض الجماعات المسلحة لتحقيق مصالحهما الاستراتيجية في حين اتخذت الدول العربية مواقف متباينة تراوحت بين المراقبة الحذرة والتدخل المحدود، خاصة من دول مثل السعودية ومصر والعراق.

يشير التاريخ إلى أن سوريا لطالما كانت تُستغل كقوة موازية للعراق لتحقيق توازنات إقليمية. ففي خمسينيات القرن الماضي عندما سعت الملكية العراقية إلى التقارب مع الأردن، استُثمرت سوريا من قبل جمال عبد الناصر لإجهاض هذا المشروع، اذ شُكلت وحدة بين مصر وسوريا على أسس قومية واشتراكية لإضعاف النظام الملكي في العراق.

ومع سيطرة حزب البعث على كل من سوريا والعراق، لم تتحقق الوحدة المأمولة بين النظامين، بل تفاقمت الخلافات بسبب التدخلات الإقليمية. خلال الحرب العراقية-الإيرانية، انحازت سوريا إلى جانب إيران، ما أدى إلى زعزعة الموقف العراقي وإطالة أمد الحرب.

بعد عام 2003 وسقوط النظام العراقي، أصبحت سوريا قاعدة للجماعات المسلحة التي استهدفت العراق، مما ساهم في تأجيج العنف الطائفي وإضعاف النظام الجديد. كانت الحدود بين البلدين مفتوحة لتدفق المقاتلين والأسلحة، وهو ما استغلته أطراف إقليمية لزعزعة استقرار العراق ومنع نجاح تجربته الديمقراطية.

اما اليوم، ومع الانعطافة الكبرى في المشهد السوري، تبدو تأثيرات هذه التحولات على العراق حتمية.

فمن الناحية الأمنية، يشكل استمرار نفوذ الجماعات المسلحة في سوريا تهديداً مباشراً للعراق، خاصة على طول الحدود المشتركة، وهذه الجماعات قد تستغل الفراغ الأمني أو الدعم الخارجي لتنفيذ عمليات داخل العراق، ما يعيد مشاهد العنف السابقة إلى الواجهة.

فمع وجود الجماعات المتطرفة التي تنشط في سوريا، مثل "هيئة تحرير الشام" وبقايا تنظيم "داعش"، لا تزال قادرة على تهديد الأمن العراقي فالحدود المشتركة بين البلدين تظل نقطة ضعف أمنية، حيث يصعب السيطرة عليها بالكامل، مما يجعل العراق عرضة لتسلل المقاتلين أو انتقال الأسلحة.

وسقوط نظام الأسد أعاد ترتيب التحالفات في المنطقة بينما تسعى إيران لتعزيز نفوذها في سوريا، قد تُستغل الأراضي السورية لتوجيه رسائل ضغط إلى العراق عبر دعم الفصائل المسلحة، تسعى تركيا إلى توسيع نفوذها في شمال سوريا، وهو ما يضعها في مواجهة مع القوى الكردية العراقية التي تشترك معها في المصالح والتحديات.

كما ان التغيرات الجيوسياسية في سوريا قد تؤثر على التوازنات الداخلية في العراق القوى الإقليمية التي تستثمر في المشهد السوري قد تحاول تصدير صراعاتها إلى العراق، سواء عبر دعم حلفاء محليين أو عبر تغذية الصراعات الداخلية لتحقيق مكاسب سياسية.

السيناريوهات المستقبلية: تكامل أم صراع؟

بينما يُظهر التاريخ أن التحولات في سوريا تنعكس بشكل مباشر على العراق، يبقى السؤال الأهم: هل ستتمكن الدولتان من تحقيق استقرار يحقق تكاملاً إقليمياً أم أن التنافس والصراعات ستظل هي السمة الغالبة؟

- سيناريو الصراع:

استمرار الجماعات المسلحة في السيطرة على المشهد السوري، وتزايد التدخلات الإقليمية، قد يؤدي إلى تصعيد أمني يؤثر بشكل مباشر على العراق، خاصة إذا استمرت الأطراف الخارجية في استغلال سوريا كساحة لتصفية الحسابات.

- سيناريو الاستقرار:

إذا تمكنت سوريا من تحقيق تسوية سياسية شاملة تُرضي جميع الأطراف، فقد ينعكس ذلك إيجاباً على العراق من خلال تقليل التهديدات الأمنية وتعزيز التعاون الاقتصادي والسياسي بين البلدين.

التحدي العراقي في ظل التحولات السورية

مع دخول سوريا مرحلة جديدة بعد سقوط الأسد، يبدو أن العراق يقف أمام تحديات كبيرة، فبجانب ضرورة تعزيز قدراته الأمنية، هناك اهمية لتبنى رؤية دبلوماسية متوازنة للتعامل مع التحولات الإقليمية وهذا ما نجحت فيه حكومة السيد السوداني وسط المتناقضات الكبيرة في المواقف الاقليمية، وهو ما يحتاج الى زخم من الايجابية والاسناد الداخلي لاستدامة هذا التوازن ولا سيما ان التاريخ والجغرافيا يضعان البلدين في مسار مشترك، حيث لا يمكن تحقيق استقرار في أحدهما دون الآخر.